تجليات الخطاب الشعري في المنظومة التربوية "
السنة الثالثة آداب وفلسفة أنموذجا "

أحمد حفيدي

المركز الجامعي بتامنغست

h00001971@yahoo.fr

2017-12-09 2018-12-12

ملخص المقال:

يشهد الخطاب الأدبي العربي بشعره ونثره ونقده تشكلات وتحولات كبيرة ، سعيا إلى مسايرة السياقات السياسية والاجتماعية والثقافية العالمية والوطنية ،نتج عنه إصلاحا تربويا شمل المناهج الدراسية بكل محتوياتها ،فتولد عن هذا الإصلاح تغيرات انتقائية للمحتوى في مناهج اللغة العربية ، وخير ما نتمثل به لهذا الإصلاح هو محتوى الخطاب الأدبي في المرحلة الثانوية السنة الثالثة آداب وفلسفة ، لنقف على الخطاب الأدبي الشعري باعتباره رافد من روافد الظواهر اللغوية والبلاغية والعروضية ، ونتأمل معا لم هذا الخطاب ، وعناصر تشكله.

الكلمات المفتاحية :خطاب ،شعري، تربية ، آداب ، فلسفة ،الثالثة.

Résumé:

le discours littéraire avec sa poèsie et prose et critique en voie de grands changements ,au but de faire face aux contexts polytiques,sociaux,culturels,nationnaux et mondiaux ont donné lieu à une reforme educative aux programmes scolaire avec touts ces contenus,cette reforme à donné naissance aux changements selectifs aux contenus de la langue arabe,et le meilleur exemple qu'on peut citer dans cette reforme,c'est le contenus du discours littéraire de la troisième anneé secondaire letters et philosophie,pour se tenir que le discours littéraire poétique comme l'un des affluents de phénomènes rhétoriques prosodiques,et de méditer les caractéristiques de ce discours et les élèments qui le compose.

Keywords:discours/poétique/scolaire/littéraire/philosophie/troisième anneé

الحديث عن مفهوم الخطاب الشعري يكاد لا يخرج عن ذلك التحديد الذي أقامه النقاد لمفهوم الخطاب الأدبي،لكونة جزء منه ،فهو يعبر عن ذلك المخزون الإبداعي اللغوي الذي يجعله عالما ملئ بالآهات والأناة ، غامض الحدود ، لا تنحصر غايته في جانب من الجوانب ، فهو خاضع للتجديد والتحديث كلما دعت الضرورة ، فما كان قائما التسليم به في الماضي أصبح الآن محل رفض وشك ، لأن كل جيل يحاول أن يخط لنفسه طريقا غير التي سلكت من قبل .

وهكذا تظل القصيدة العربية بكل عوالمها تفرض نفسها ،وتحاول القراءات المختلفة أن تجعل منها ما يكشف عن بعض أسرارها، ويستكشف جوهرهاالذي ظل مميزا في شكله ومضمونه ، ولعل ما أنتقي لأبنائنا من الخطابات الشعرية المختارة خير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دليل على مدى استمرارية ومقدرته على خلق فضاء تواصليا لغويا ينطلق من الشاعر ليصل إلى المتلقي ، محملا بكل القيم والدلالات.

فالخطاب الشعري هو في حقيقته عبارة عن رسالة موجهة من مرسل نحو مرسل إليه ، أي أن هناك مُخاطِب ومُخَاطَب وبينهما خطابٌ يشتركان سويا في صنعه، ويحدث بينهما تفاعل ، وتأثر وتأثير يجعل الرسالة الشعرية تفصح عن مكنونها بحيث تجعل القاري يتفاعل معها ويحاول محاكاتها .

فالخطابات الشعرية الموجهة لتلامذتنا في المرحلة الثانوية تنحصر في أربعة عشر خطاباً أدبياً مقسما على ثمانية محاور أساسية ، يشمل كل محور على خطابين شعريين لشاعرين مختلفين ،حيث يبدأ المنهاج "بتناول أهم مأثور الأدب في عصر الضعف (656هـ-1213هـ)"[1] والذي قد ضم خطابين للتعرف على ظاهرة المديح النبوي والزهد في هذا العصر ، و"باقي الخطابات الشعرية تعلقت بأدب النهضة، والعصر الحديث فالأدب المعاصر"[2].

و يعتبر الخطاب الشعري نشاطا أدبيا تعليميا من جملة النشطات المقررة ، والتي تشكل انسجاما مع الخطابات الشعرية المبرمجة في السنتين السابقتين ، ففي السنة الأولى تدّرس الخطابات الشعرية المتعلقة بعصر ما قبل الإسلام ، والعصر الأموي ، وفي السنة الثانية الخطابات الشعرية في العصر العباسي والمغربي ، لتكلل في السنة الثالثة بخطابات عصر الضعف ، وعصر النهضة ، والعصر الحديث ،والمعاصر، وقد "حددت مفاهيم هذه الفترات الزمنية بدقة في المنهاج التربوي "[3]وهذا الشق لسنا بصدد دراسته.

ولما كان المنهاج محددا لما يدرسه التلاميذ من الخطابات ، فإن ما ينفذه الأستاذ المعلم للتلاميذ يكاد يدفعنا للتساؤل هل ما يدّرسه الأستاذ هو ملائم ومترابط مع ما هو موجود في المنهاج ؟ وهذا ما يحدث الفرق بين المنهج المكتوب والمنهج الذي يتم تدريسه "ولهذا يقترح روبرت زايس Zais ;R.1976أن يشار إلى الخطة المكتوبة باسم وثيقة المنهج Documentأو المنهج الكامن Inert Curriculm، ويشار إلى المنهج المنفذ فعلا في المدرسة بالمنهج العامل أو المنهج الفعال Operative Curriculum."[4] ولكي يتبين لنا أن ما يقدمه المعلم للمتعلم هو مطابق لما هو في المنهاج ، علينا الوقوف عند ملمح الدخول وملمح الخروج ، والأهداف الوسيطية المندمجة لمعرفة الغاية التعلمية للخطاب الأدبي بصفة عامة ، والخطاب الشعري بصفة خاصة .

ملمح الدخول للسنة الثالثة من التعليم الثانوي :

يشير المنهاج التربوي إلى ملمح الدخول للسنة الثالثة من التعليم الثانوي شعبة آداب وفلسفة بأن دخول المتعلم لهذه السنة يجب أن يكون فيه المتعلم قادرا على :[5]

إنتاج وكتابة نصوص ذات طابع وصفي أو سردي أو حجاجي وذات علاقة بمحاور تدريس نشاطات المادة و ذلك :

في وضعيات ذات دلالة بتمثل خصائص الوصف أو السرد أو الحجاج وبمراعاة مصداقية التعبير وجمالية العرض .

التحكم في الكفاءة اللغوية والأدبية على وجه الإجمال .

فمن خلال ملمح الدخول لهذه السنة ندرك بأن التلميذ قد اكتسب جملة من المهارات والكفاءات اللغوية التي تؤهله للتواصل مع الخطابات الشعرية المقررة في هذه السنة الدراسية ، وما يحقق المقاربة النصية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملمح الخروج من السنة الثالثة من التعليم الثانوي

يشير المنهاج التربوي إلى ملمح الخروج من السنة الثالثة من التعليم الثانويآدابوفلسفة ، بخروج المتعلم من هذه السنة قادراّ على :[6]

– تحديد أنماط النصوص مع التعليل .

– التمييز بين مختلف أنماط النصوص .

– إعادة تركيب أنماط النصوص (من الحجاجي إلى السردي– من السردي إلى الوصفي –من التفسيري إلى الإعلامي – من الوصفي إلى الحجاجي – من السردي إلى الحواري – من الحواري إلى الحجاجي ...)

– إنتاج وكتابة نصوص متنوعة (تفسيرية ، سردية ، حجاجية ، وصفية ، تعليمية ، حوارية ، إعلامية).

– النقد الأدبي لأنماط مختلفة من النصوص التي تنتمي إلى العصور الأدبية المدروسة.

ومن خلال هاذين الملمحين يمكننا أن نتساءل ، هل يمكن للخطابات الأدبية ، والشعرية بصفة خاصة أن تحقق هذه الملامح التي يجب على التلميذ اكتسابها والعمل بها ؟

الأهداف الوسيطية المندمجة في الأدب والنصوص :

إن اعتماد المنهاج على منهج التدريس بالمقاربة بالكفاءات جعل تعليمية النص الأدبي تقتضي رسم أهداف تعليمية تربوية ، ولقد تم في منهاج السنة الأولى (جذع مشترك آداب ،...) وضع الخطوط العريضة لتعليمية النص الأدبي ، وكذا النشاطات المقررة ...انطلاقا من مبادئ المقاربة بالكفاءات ، كما تم تحديد "الأهداف الوسيطية المندمجة لهذه النشاطات وبالنظر إلى ما تكتسبه هذه السنة . الثالثة من أهمية في المسار الدراسي للمتعلم ."[7] وهذه الأهداف خاضعة إلى طبيعة الخطاب المعتمد دراسته وفق تواصل دال ، يكون فيه المتعلم قادرا على تسخير مكتسباته القبلية للاستعاب ،والشرح ،والتحليل، والتركيب .

فالخطاب الشعري الذي هو خطاب محمل بالدلالات الفكرية والفنية ، يشفع غالبا بنصوص تواصلية ، وأخرى من جنسها في إحكام موارد المتعلم توتي أكلها من خلال تفاعل التلاميذ مع النشاطات المقررة ، وتفعيلها عن طريق التعلم الموقفي عند وضع المعلم للتلاميذ في وضعيات مستهدفة تقييمية ، وفق منظور المقاربة بالكفاءات* تلامس العناصر الأساسية لهذا الخطاب .

عناصر الخطاب الشعري:

يتميز الخطاب الشعري عن مختلف الخطابات الأدبية ببعض الخصائص والمميزات ، بالرغم من اشتراكه معهم في البناء اللغوي الذي يجعل منه منتجا فنيا يعبر عن التجربة الشعرية لمنتجه ، ومن جملة العناصر التي تميزه لغته الشعرية ، ومضمونه الخاص به ، وموسيقاه المتميزة ، وهذا ما يدفعنا للوقوف عند كل عنصر من هذه العناصر .

1. لغة الخطاب الشعري :

تقوم اللغة الشعرية على الخطاب غير المباشر ، الذي يجعل هذه اللغة تعتمد أساسا على التصوير والمجاز والإيحاء والرمز ، مما يجعل هذه اللغة تختلف اختلافا فارقا عن اللغة النثرية ، فاللغة باعتبارها أداة للتعبير فهي لغة بنائية لها علاقة بالتجربة ، "

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية ، وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به ." [8]

فالعلاقة القائمة بين الشاعر واللغة الخطابية له هي أمتن وأقوى صلة به ،لأنها تعكس تجربته الشعرية عن طريق الكلمة ، فهو يتعامل مع ذاته ومع الوجود من خلال اللغة ، فهذا الشاعر صلاح عبد الصبور من خلال خطابه الشعري حول أبي تمام ، يحاول أن يبين لنا مقدرته على الخلق الفني ، وإعطاء اللغة أبعادا جديدة من خلال الرمز والألفاظ والتراكيب .

فالشاعر يهدف إلى إثارة المشاعر باختيار القوالب الخاصة التي " يتخيلها من القوالب العديدة والتراكيب اللغوية المختلفة . إن في أسلوب الشعر قوة غامضة لبعض الكلمات وبعض التراكيب ، تنتج من اجتماع هذه الكلمات أو التراكيب أو من جرسها فتسبب إثارة الخيال وتنفذ إلى صميم القلب ." [9] مما يكسب الخطاب قوة التأثير في المتلقي ، وهذا ما يهدف إليه الخطاب الشعري المختار والمنتقى للتلاميذ في هذا المستوى الدراسي ، ونلمس هذه القوة والتأثر في جملة النصوص الشعرية مع تفاوت في المستوى حسب الموضوع المعالج، فلو وقفنا عند الخطاب الشعري لشفيق الكمالي (جميلة) أو الخطاب الشعري لمحمد الصالح باوية (الإنسان الكبير) في المحور السادس من المدونة لشعرنا بقوة الإثارة للخيال والربط بين الماضي والحاضر من خلال قيم الثورة الجزائرية وعظمتها ، وكيف تمثلها الشاعر العربي في قصائده .

يقول شفيق الكمالي : [10]

هِيَّ لن تموت .. فخولةٌ

لَمَّا تَزَلْ

رغم الرّدى ... نَجْمَهْ

تَلُوحُ في العتمهْ

ياقوتةً خضراء بسّامَه

فالسؤال المثار في أناقش معطيات النص ، اللغة في الشعر لا تنقل المعاني بل توحي بها من خلال الطاقات التصويرية والموسيقية ما أثر ذلك على نفس القارئ ؟[11] فهذا السؤال يحدد الهدف المنشود من وراء الخلق الفني الذي يجعل اللغة عند الشاعر هي ليست لغة مباشرة ، وإنما هي لغة إثارية هادفة إلى دغدغة مشاعر المتلقي ، وهذا ما نجده في نص محمد الصالح باوية من خلال (الانسان الكبير) [12]

قال شعبي يوم وحّدَنا المصير :

أنت إنسانٌ كبيرْ...

ياجراحي

أوْقِفي التاريخَ أنا نبعُ تاريخٍ جديد

يَزرعُ الكَوْنَ سلاماً وابتساماً وبطولاتِ شهيد

من ضلوعي من دَمي عَبْرَ الجزائر

من خُطى طفلٍ جريءٍ يحمل المدفعَ في أرض الجزائر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاللغة الشعرية عند الشاعر تتجاوز المباشرة والتواصل ، فخلق للغة وظائف أخرى ، وهي الوظيفة الإيحائية والإثارية والرمزية والثورية ، وهذا ما يجسده السؤال المثار في أحدد بناء النص .

إذا كانت الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل فما هي الوظائف الثانوية لها في هذا النص ؟ والسؤال الثاني .

لغة الشعر في مرحلة الثورة جاءت حادة الجرس ، وتعكس مشاهد الحرب وأجوائها مثل ذلك من النص ؟

فهذان السؤالان يبينان بأن اللغة الشعرية لها سحر طبيعي ناتج عن قوة الصياغة التي تمر بها اللغة بألفاظها وعباراتها ،ووراء خلق المعاني الاصطلاحية الجديدة للغة .

والتفت النقاد العرب إلى لغة الشعر العربي الحديث فظهرت عدةدراسات نقدية عالجت هذا الجانب ، إلا أن هذه الدراسات" قد اشتغلت عموما بلغة الشعر كقضية من القضايا التي أثارها الشعر العربي منذ مطلع الخمسينيات تقريبا ، فكان الاهتمام منصبا على توضيح ميزة اللغة الشعرية أو مقاربة لغة شعر التفعيلة مع لغة الشعر التقليدي " [13] والتي خدمت الشكل لا المعنى .

فالكتاب المدرسي باعتباره مكملا للمراحل السابقة ،والراسم لملمح الدخول للسنة الثالثة ثانوي بتحديد "الأهداف الوسيطية المندمجة المتعلقة بالنص الأدبي "[14] والذي يبرز لنا مستوى المزج اللغوي بين خطاب عصر الضعف ،والعصر الحديث ،والعصر المعاصر ، وهذا ما يتيح مقاربة لغة الخطابات الأدبية لحصول الملكة اللغوية ومعرفة مدى التباين بينها .

وتحتل الخطابات الشعرية على مستوى الكتاب المدرسي للسنة الثالثة آداب وفلسفة ولغات أجنبية نسبة 66,66% من مجموع الخطابات الأدبية مما يجعلها تؤثر في الملكة اللغوية للتلاميذ ، وانطلاقا من عصر الضعف إلى العصر المعاصر نجد التلون والتنويع في النصوص ، يؤدي إلى تنوع المعاني وتفجيرها عند التلاميذ.

ففي خطاب مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للشاعر البوصيري ، نجد أن الشاعر لم تكن لغته الشعرية لغة تقريرية مباشرة فقط ، مدحا لغاية المدح ، بل هادفة إلى إثارة الإحساس الفني لدى المتلقي ، وإن لم يكن الأمر كذلك فالأرجح أن التلميذ والذي يعد المتلقي الثاني*للخطاب لم يثر عنده الإحساس الفني فقد يرجع الأمر إلى المعلم أو المتعلم كلاهما فيقول الشاعر البوصيري[15].

كَيْفَ تَرْقَى رُقَيّكَ الأَنْبِيَـاءُ يا سَمَاءً ما طَاولتْها السماءُ

لم يساووك في علاك ،وقد حا ل سنًا منك دُونـهَمْ وسَنَاءُ

أنت مصباح كلِّ فضلٍ فما تصـ ـدُرُ إلا عن ضوئِك الأضواءُ

حبـذا عـقدُ سُؤْددٍ وفخـار أنتَ فيه اليتيمة العصمـاءُ

سيدٌ ضِحْكُهُ التبسم ، والمشـ ـيُ الهوينا ، ونومه الإغفـاءُ

فبالرغم من أن الأبيات مختارة ، إلا أن لغتها الشعرية تشعر القارئ وتقنعه بان محمدا صلى الله عليه وسلم ـ أفضل المخلوقات . مما يؤدي إلى التفاعل العاطفي وهذا ما تثيره أسئلة معطيات النص .

فاللغة الشعرية في جميع الخطابات المختارة كانت متميزة باختيار ألفاظها ، وحسن تراكيبها ،وإنتقاء عباراتها رغم تباعد أزمنتها مما يُكون عند المتعلم رصيدا لغويا متفاوتا ، يشكل به قاموسه اللّغوى، برمزه وإيحائه وشعريته، مما يهدف إلي إثارة الإحساس الفني ،وخلق التفاعل العاطفي عند المتلقين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. موسيقى الخطاب الشعري :

يتميز الخطاب الشعري عن الخطاب النثري بخاصية الموسيقى أو الإيقاع الشعري ، وهذا حسب ما ذهب إليه القدماء من النقاد في تحديد مفهوم الشعر كما تواتر عنهم " بأنه الكلام الموزون المقفى " فالوزن هو الركن الأساس الذي يميز الشعر عن النثر، فيعطي للخطاب الشعري إيقاعا موسيقيا نعدم مثله في النص النثري.

ويرى ابن رشيق أن " الوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولاها به خصوصية "[16] فهو ميزته وسمته الأساس " ويرجع بعض النقاد أن السّر الموسيقي للكلمات هو جوهر القصيدة ، وهذه الموسيقى في الشعر يولدها الوزن والقافية والانسجام بين الكلمات والترتيب الخاص الذي يقوم بينهما "[17] ، فيتولد الإيقاع الذي به تطرب الأذن ويحدث النغم الذي به ينسجم المعنى ويقع الانفعال.

وإذا كانت غاية الخطاب الشعري هي إثارة الشعور ودغدغة العواطف وتحريك المشاعر والانفعال ، فإنه من الضروري أن يؤدي الإيقاع الموسيقي دورا مهما في تحقيق هذه الغاية ، وهذا لارتباطه بالغناء .

ولعل الارتباط الشديد بين الخطاب الشعري بإيقاعه الموسيقي ، وبين الغناء هو الذي يكسب النص الشعري تأثيرا على المتلقي لأن الموسيقى تقوم على أساس الحركات والسكنات التي بها تتكون الأسباب والأوتاد والفواصل ، التي تعطي للفظة وزنها العروضي الذي تتشكل منه التفاعيل ، سواء أكانت خماسية أو سباعية وهي أساس هذه الموسيقى الخارجية .

والجانب الإيقاعي الموسيقي في الخطاب الشعري ذو أهمية كبيرة ، لأن الجرس الموسيقي إذا كان منضبط ورنان فإنه يشد السامع ويغويه ، خاصة إذا توافق الإيقاع والمضمون والغرض .

والقصيدة الشعرية ذات التفعيلة ، أعطت للموسيقى الشعرية بإيقاعها بعدا آخرا ، فالقصيدة الحرة في بنائها قائمة أساسا على إيقاع التفاعيل ، وهذا الإيقاع عبرت عنه الشاعرة الرائدة نازك الملائكة في قولها " إن الشعر الحر ظاهرة عروضية قبل كل شيء ، ذلك لأنه لا يتناول الشكل الموسيقي للقصيدة ، ويتعلق بعدد التفعيلات في الشطر ويعنى بترتيب الأشطر والقوافي ، وغير ذلك مما هو قضايا عروضية بحتة "[18] وهذا ما يؤكده المقطع النقدي الوارد في الكتاب المدرسي " أساس الوزن في الشعر الحر أنه يقوم على وحدة التفعيلة "[19].

وموسيقى الخطاب الشعري وإيقاعه ليس ناتجا عن الوزن والقافية وحدهما ، بل هو ناتج أيضا عن اللغة بألفاظها وعباراتها الرنانة ذات النبر المتكرر والتماثل الصوتي ، والتجانس في الألفاظ والتقابل والتضاد بين العبارات لتتشاكل مع المعنى وتؤدي غاية التأثير على المتلقي .

والخطابات الشعرية المقررة في منهاج السنة الثالثة آداب وفلسفة بشكليها ، العمودي والتجديدي المتمثل في القصيدة الحرة ، فإن الإيقاع المعتمد في الشكل الأول قائم على الوزن الرتيب ، والقافية المطردة ، أي على الشكل الخليلي ، أما الشكل الثاني فموسيقاه الشعرية وإيقاعه قائمة على التفعيلة ، وقد سطرت جميع التفاعيل التي تصلح بأن تكون بحرا للقصيدة والتي لا تصلح لها "[20]

ومن جملة الخطابات الشعرية التي قامت على الوزن الرتيب والقافية المطردة ، نجد خطاب البوصيري . في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ونص ابن نباته في . الزهد . ونص للبارودي . آلام الاغتراب . ونص لأحمد شوقي . من وحي المنفى . ونص

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لإيليا أبي ماضي . أنا . ونص لسليم الخوري . هنا وهناك . ، وهذه الخطابات الشعرية لم يشر فيها إلى الوزن لاعتبار أنه درس في المراحل السابقة ، فوجه المتعلم إلى اكتشاف البحور الشعرية التي نظمت بها القصائد الشعرية المعاصرة ، فكان الاهتمام في هذه السنة يهدف إلى جعل المتعلم يطلع على تطور الوزن والتفعيلة والقافية في الشعر الحديث عموما والمعاصر خصوصا "[21] لغاية تذوق دور الوزن والإيقاع في جمالية النص الشعري .

والخطابات المعنية بالوقوف عند وزنها وإيقاعها ، هي تلك التي تمثل التجديد في موسيقى الشعر العربي ليطلع المتعلم على التطور الذي طرأ على وزن القصيدة العربية المعاصرة ، وما أحدثته من إيقاعات جديدة ، فنجد من الخطابات التي عُولج إيقاعها خطاب منشورات فدائية لنزار قباني ، وحالة حصار لمحمود درويش / والإنسان الكبير لمحمد الصالح باوية ، وجميلة لشفيق الكمالي ، وأغنيات للألم لنازك الملائكة ، وأحزان الغربة لعبد الرحمان جيلي ، وأبو تمام لصلاح عبد الصبور، وخطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين لأمل دنقل .

فالخطابات القائمة على الوزن الخليلي ، نجد بأن التشكل الموسيقي فيها مبني على المقياس التقليدي فهمزية البوصيري مسماة على حرف رويها الهمزة ، وهي من غرض المدح ، عدد البيات المختارة ستة عشر بيتا ، شكّل إيقاعها وموسيقاها الخارجية وزن بحر الخفيف ذو التفعيلات السباعية ، وهو من البحور الممزوجة : فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن وحرف المد قبل حرف الروي .

وأما الإيقاع الداخلي فتشكله تلك الألفاظ الجزلة والرصينة التي يختارها الشاعر والمتقابلة مع بعضها بتناسب مضمون النص المعبر عن مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم،وقد قال : [22]

وسع العالمين علما وحلما فهو بحر لم تعيبه الأعباء

شمس فضل تحقق الظن فيه أنه الشمس رفعة والضياء

معجز القول والفعال كريم الخلـ ق والخلق مقسط معطاء

فإلى جانب الوزن العروضي وحرف الروي الهمزة ، نجد حركة حرف الروي "الضمة " التي تناسب ذكر الصفات والمحاسن ، كما نجد المظاهر الصوتية الواضحة كتكرار حرف السين وهو من حروف الصفير التي يجد فيها الشاعر ما ينفس به عن حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ، كما نجد حسن التقييم في : شمس فضل . إنه الشمس ، كريم الخلق . والخلق مقسط ، ومظاهر صوتية أخرى قد حققت موسيقى داخلية داخل القصيدة ، مما يجعلها أكثر تأثيرا في المتلقي ، بل تلهمه بحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما قد اختار بحر البسيط لقصيدة في الزهد لابن نباتة ، وهو بحر ذو تفعيلات ممزوجة من سباعية وخماسية تتكرر بانتظام لتؤدي الدلالة التأثيرية على المتلقي ، واختار الشاعر لها قافية وحرف روي الدال ، المشبع بالمد فقال :[23]

أَسْتَغْفِرُ الله لا مَالِي وَلا وَلَدِي آسَى عَلَيْهِ إِذَا ضَمَّ الثرَى جسدي

عِفْتُ الإقَامَةِ فِي الدُنْيَا لَو انْشَرَحَتْ حَالِي فَكَيْفَ ؟ وَمَا حَظِي سِوَى النَّكَدِ

وَقَدْ صَدِئْتُ ، ولي تحت التراب جلاً إنَّ التـرابَ لجَلاءٌ لكـلِّ صَدِي

فالظواهر الصوتية الخلاقة للإيقاع الموسيقي ، ظاهرة في القصيدة جذّابة للقارئ : لا مالي . لا ولدي ، جسدي ، عفت ، انشرحت ، النكد ، و صدئت ، جلاءً . جلاً . كل صدي ، كل هذه الألفاظ حققت إيقاعا إلى جانب وزن البحر الخفيف .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقصيدة محمود سامي البارودي . آلام الاغتراب . جاءت على نفس وزن قصيدة البوصيري ببحر البسيط ، لكن هناك اختلاف في حرف الروي ، فحرف الروي هو " القاف " المتصل بصوت الكسرة ، وهو حرف شديد مجهور استعلائي ، مناسب لتحدي الشاعر للألم والتوجع والهم والغم الذي كان يراوده في السجن بعيدا عن أهله . فجاءت أبياته تحمل جملة من المعاني والتعابير المؤلمة .فيقول في ذلك :[24]

هَــلْ مِنْ طَبِيْبٍ لَدَاءِ الحبِّ أو رَاقِ ؟ يَشْفِـي عَلِيــلاً أَخَـا حُـزْنٍ وَإِيــرَاق

قَدْ كَانَ أَبْقَى الهَوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقًا حَتّى جَرَى البَيْنُ فَاسْتَوْلَى عَلِى البَاقِي

حُـزْنٌ بَرَانِي وَأَشْــوَاقٌ رَعَـتْ كَبِــدِي يَا وَيْــحَ نَفْسِيَ مِنْ حُزْنِي وأَشْوَاقِ.

أما ما يتعلق بالإيقاع في القصيدة الحرة ، نجد أن جل البحور الشعرية التي يمكن أن تنسج منها القصيدة الحرة ، قد وردت في الكتاب المدرسي من بحر الرجز والمتقارب والكامل ، والمتدارك ، والوافر ، والهزج ، وهي تشكل جميع البحور الصافية ذات التفعيلة الخماسية أو السباعية .

ونظرا للأهمية التي يحظى بها الإيقاع الموسيقي ، وخاصة في قصيدة شعر التفعيلة ؛نجد أن المنهاج ربط كل نص من النصوص الحرة ببحر من البحور الشعرية خدمة للإيقاع ، لإدراك " التطور الذي طرأ على وزن القصيدة العربية المعاصرة ، وما أُحدث فيها من إيقاعات موسيقية جديدة ، مع هدف تذوق دور الوزن والإيقاع في جمالية النص الشعري ".[25]

وما نستنتجه من خلال دراستنا للإيقاع في الخطاب الشعري ؛ندرك بأنهينمي عند المتعلمين التذوق الفني، كما يولد في نفس المتلقين الحس الذي تطرب به الأذن ، ويحدث النغم الذي به ينسجم المعنى ويقع الانفعال ، وأن الخطاب الشعري قادرٌ على تنمية المهارات اللغوية عند التلاميذ.

3/مضمون الخطاب الشعري :

الحديث عن المضمون الشعري يدفعنا للوقوف على جميع النصوص الشعرية التي اختيرت لتلاميذ المرحلة الثالثة، والتي أشرنا إلى أن نسبتها بلغت من مجموع الخطابات الموجهة لهذا المستوى بـ 66,66% ، فالمضمون أو المحتوى " هو نوعية المعارف التي يقع عليها الاختيار ، والتي تنظم على نحو معين سواء أكانت هذه المعارف مفاهيم أو حقائق أم أفكار أساسية "[26] ، وهو عنصر أساس من عناصر المنهج ، وهو المؤثر المباشر في الأهداف التعليمية ، فهو يشمل العناصر الآتية :[27]

. المعرفة المنظمة المتراكمة عبر التاريخ .

. المصطلحات والحقائق والمفاهيم والقوانين والنظريات التي يقدمها المعلم للمتعلم بصورة منطقية .

. المعرفة المتأنية عن الخبرات البشرية غير المنظمة وغير المنتظمة في حلول معرفية معينة .

ويقصد بالمضمون "ما هو مقرر دراسيفي مادة الأدب العربي ، وموجه لهذا المستوى بشعره ونثره ونقده ، وما تحمله هذه الخطابات من قيم ومهارات عقلية وجسدية ، وطرق للتحليل والمناقشة والبناء ،ويمثل المضمون ذلك الجزء المهم من المنهج المدرسي الذي يتكون من الخبرات المعرفية والمهارية والوجدانية التي تقدمها المقررات الدراسية في صورة كتب مدرسية ، تعدها المؤسسة التربوية للطلاب المستهدفة من أجل دراستها "[28]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمضمون الأساس للشعر هو " الشعور ، سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة ، كشف فيها عن جانب من جوانب النفس أو نفذ من خلال تجربته الذاتية إلى مسائل الكون أو مشكلة من مشكلات المجتمع تتراءى من ثنايا شعوره وإحساسه ، وإثارة الشعور و الإحساس مقدمة في الشعر على إثارة الفكر " [29]

فأولوية الخطاب الشعري هو إثارة الحس وتحريك المشاعر عن طريق اللفظ الموسيقي العاكس للتجربة الشعرية التي تراود الشاعر ، ولكي يؤثر الشاعر في المتلقين ، لابد أن يكون قد أثر تأثيرا فنيا في المختارين له ، ناهيك عن الهدف الذي يُختار هذا المضمون من أجله .

والمتمعن في المنهاج التربوي والكتاب المدرسي للسنة الثالثة آداب وفلسفة ولغات أجنبية ، يجد مضمون الكتاب من ناحية الخطاب الشعري متطابقا بحسب المحاور التي وردت كالآتي :

المحور الأول والمتعلق بدراسة المعاني والأفكار وأساليب التعبير المختلفة ، وجمال اللغة من خلال التعرف على ظاهرة المديح النبوي والزهد في عصر الضعف * ، شمل خطابين شعريين الأول . في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . للشاعر البوصيري ، والخطاب الثاني متعلق بفن الزهد . في الزهد . للشاعر ابن نباته المصري . أما المحور الثاني فقد جاء نثريا لا شعريا .

وفي المحور الثالث والمتعلق بدراسة المعاني والأفكار وأساليب التعبير المختلفة ، وجمال اللغة بغية التعرف على خصائص شعر المنفى لدى الشراء الرواد في العصر الحديث (البارودي و شوقي) ، وهذا ما يعلل الوقوف عند خطابين الأول للشاعر محمود سامي البارودي . آلام الاغتراب . والثاني للشاعر المصري أحمد شوقي . من وحي المنفى . .

فهذا المحور يشمل على شعر المنفى وقد شمل خطابين لشاعرين عربيين كبيرين ، لكن من وجهة نظري كان من الأفضل اختيار نص للشاعر الأمير عبد القادر ، باعتباره شاعر نهضة ، وأنه مر بنفس التجربة ، ويرتبط بالذاكرة الجزائرية .

ويشمل المحور الرابع على ظاهرة شعرية قوامها مظاهر التجديد في الشعر العربي الحديث [30]* واكتشاف النزعة الإنسانية في شعر المهجريين ، وقد عرج على خطابين من المدرسة المهجرية بشمالها وجنوبها ، فالأول بعنوان . أنا . لإيليا أبي ماضي ، والثاني للشاعر رشيد سليم الخوري الملقب بالقروي بعنوان . هنا وهناك . والخطابان المختاران من الناحية الفنية يجسدان قيم الشعر الحديث المهجري ذو النزعة الرومانسية .

وهذان النصان بالرغم مما يحملانه من القيم الإنسانية إلا أنهما لا يعبران عن فترة العصر الحديث المترامية الأطراف ، والتي تتجسد فيها أكثر من ثلاث مدارس شعرية من مدرسة الديوان إلى جماعة أبولو إلى شعراء المهجر ، فكان من الأحسن اختيار نصا مهجريا ، ونصا من الشعر العربي الحديث الجزائري أو المصري أو التونسي بحسب ما يخدم الهدف المنشود .

وعلى الرغم من كوننا أمة إسلامية ، وقيم ديننا الحنيف تحث على هذه القيم إلا أننا ونحن نقف عند نص الشاعر إيليا أبي ماضي نجد أنفسنا ننهل ونتعلم هذه القيم من أصحاب الديانة المسيحية .

أما مضمون المحور الخامس فقد تعلق بانشغال الشعراء المعاصرين[31]* بالقضية الفلسطينية ، وبين مدى حس المواطنة ونزعتها لديهم ، وهذا المضمون عالج خطابين متباينين ، الأول للشاعر نزار قباني . منشورات فدائية . ، وهو خطاب ثائر على المستعمر آل اسرائيل ، والخطاب الثاني للشاعر الفلسطيني محمد درويش . حالة حصار . يدعو المستعمر إلى التعايش السلمي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما يستخلص من مضمون ومحتوى هذا المحور أن ما يتصوره التلميذ من ثورة وانفعال مع القضية الفلسطينية من الشاعر الذي تربطه بالشعب الفلسطيني وشائج الأخوة والنزعة القومية لا يكاد يجده عند الشاعر الوطني الذي يدعو إلى التعايش السلمي والسلام ، مما يترك انطباعا خاطئا عند هذا التلميذ خاصة إذا صيغ له ذلك في سؤال مباشر ، إذا قارنت بين هذا النص ونص نزار قباني السابق ، فيم يتفق الشاعران وفيم يختلفان ؟ وضح ؟ [32]

ومضمون المحور السادس ، شمل قيم الثورة الجزائرية ، وكيف تمثلها الشاعر العربي في قصائده ، فجاء خطاب الشاعر الجزائري محمد الصالح باوية . الإنسان الكبير . مفندا لهذه القيم ، وهي قيم جليلة جلالة هذا الشعب ، ويليه خطاب . جميلة . للشاعر العراقي شفيق الكمالي فجاء المحور متجانسا لمحتواه مع الأهداف المسطر استخلاصها منه .

وتضمن المحور السابع مظاهر الحزن والألم عند الشعراء المعاصرين ، فشمل خطاب . أغنيات للألم . للشاعرة العراقية الرائدة نازك الملائكة ، والخطاب الثاني . أحزان الغربة . لعبد الرحمان جيلي .

أما المحور الثامن فقد تضمن مظاهر التجديد في القصيدة العربية المعاصرة ، وهذا من خلال الخطاب الأول . أبو تمام . للشاعر صلا ح عبد الصبور ، و. خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين . للشاعر المصري أمل دنقل

وما يستخلص من مضمون الخطاب الشعري في الكتاب المدرسي هو أن فترة العصر المعاصر قد سيطرت على المراحل الأخرى لكونها شملت ثلاثة محاور بالموازاة مع المحاور الأخرى، وهذا ما يُحدث الاتوازن بين النصوص المختارة ، وأن هذه الخطابات الشعرية بتنوعها خادمة للظواهر اللغوية والبلاغية.

وختاما لهذه الورقة البحثية نستخلص بأن الخطاب الشعري بعناصره الفنية أصبح بعد عملية الإصلاح التربوي رافد من روافد الظواهر اللغوية والبلاغية والعروضية ،يسهم في عملية التذوق الفني وينميه عند المتعلمين ، بل بلغته يثري الرصيد اللغوي، وبموسيقاه يقوى الحس الفني.وإن الدّارس المتأمل في محتوى برنامج السنة الثالثة آداب وفلسفة من حيث الخطابات المدرجة في الكتاب المدرسي ، يدرك عدم التوازن بين محتوى الخطابات المقررة، حيث بلغت نسبة الخطابات الشعرية 58.33% ، ونسبة الخطابات السّردية 25 % مع اعتبار الخطابات النثرية ضمنها ، والخطاب المسرحي بلغ 16.66%.أما الخطاب النقدي فهو متبائن وموزع بحسب الأثر الذي يثيره كل خطاب في نفس المتلقي وهذا التباين يشكل نوعا من المفاضلة بين خطاب وآخر ، أو أفضلية الخطاب الشعري على الخطابات الأخرى لكونه الأكثر شاعرية وجمالية وأيسر للحفظ والتداول ، أو لكونه تناول أغلب القضايا النقدية المثارة آنيا ، أو لغايات خفي سببها عنا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرست المقال

[1]المناهج التعليمية لأقسام السنة الثالثة ثانوي ، للمواد الأدبية واللغات ، مديرية التعليم الثانوي العام والتكنولوجي ،المدرية الفرعية للمناهج ، جوان 2011، ص18

[2] المصدر نفسه ، ص18

[3] المصدر نفسه ، ص18

[4]أحمد المهدي عبد الحليم ، وآخرون ، المنهج المدرسي المعاصر ، أسسه ،بناؤه ، تنظيماته ،تطويره، دار المسيرة ،الأردن، ط03، 2011 ص19

[5] المناهج التعليمية لأقسام السنة الثالثة ثانوي ، للمواد الأدبية واللغات ، ص15

[6] المصدر نفسه ص 15

[7] المصدر نفسه ، ص17

*الكفاءة : حسب لوجندر "legendre " أنها مجموع المعارف والنهارات التي تمكن من إنجاز مهمة أو عدة مهام بشكل ملائم .

وحسب فيليب بيرنيو " Ph.Perenoud " يعرفها بأنها : تجنيد مجموعة من الامكانات المعرفية (معارف ، قدرات ، معلومات ...) لمواجهة فئة من الوضعيات والمشكلات بدقة وفعالية .

[8] محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط3 ،1964 ، ص415.

[9] نضال محمد فتحي الشمالي ، قراءة النص الأدبي (مدخل ومنطلقات) ، دار وائل للنشر والتوزيع ، الأردن عمان، ط1، 2009 ،ص37.

[10] دراجي سعيدي وآخرون ، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبين :أداب وفلسفة ، لغات أجنبية ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، الجزائر ، 2013/2012 ، ص123.

[11] المصدر نفسه ، ص126.

[12] المصدر نفسه، ص 116.

[13] الشرع علي ، لغة الشعر العربي المعاصر في النقد العربي الحديث ، منشورات عمادة البحث العلمي والدراسات العليا ، جامعة اليرموك أربد 1991 ، ص15.

[14] المديرية الفرعية للبرامج التعليمية ، المناهج التعليمية لأقسام السنة الثالثة ثانوي للمواد الأدبية واللغات ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، الجزائر جوان 2011 ،ص17 .

*المتلقي الثاني ، لاعتبار أن التلميذ لم يكن له الخيار في الاختيار وإنما اختير له هذا الخطاب دون سواه.

[15]دراجي سعيدي وآخرون ، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبين :أداب وفلسفة ، ص09.

[16] ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة 2009 ، ص115.

[17] نضال محمد فتحي الشمالي ، قراءة النص الأدبي ، ص36.

[18] نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، دار الآداب ، بيروت 1962 ، ط1 ، ص51.

[19]دراجي سعيدي وآخرون ، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبين :أداب وفلسفة ، ص92.

[20] المصدر نفسه ، أنظر ص93/92.

[21]المناهج التعليمية لأقسام السنة الثالثة ثانوي للمواد الأدبية واللغات ، ص21.

[22]دراجي سعيدي وآخرون ، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبين :أداب وفلسفة ، ص09.

[23] المصدر نفسه ، ص14، أنظر جمال الدين بن نباته المصري ، ديوان ابن نباته المصري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ،د.ت.ط، ص125.

[24]المصدر نفسه ، ص55 ، انظر محمود سامي البارودي ، ديوان البارودي ، 1تح /علي الجارم ،محمد شفيق معروف –4 ، دار العودة بيروت لبنان 1998 ،د.ط ، ص370.371.372 .

[25] المناهج التعليمية ، لأقسام السنة الثالثة ثانوي للمواد الأدبية واللغات، ص21.

[26] سعدون محمود الساموك و هدى علي جواد الشمري ، مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها ، دار وائل للنشر ، الأردن، ط1، 2005 ، ص61.

[27] المرجع نفسه ، ص61.

[28] رشدي أحمد طعيمة وآخرون ، المنهج الدراسي المعاصر ، ص151.

[29] نضال محمد فتحي الشمالي ، قراءة النص الأدبي مدخل ومنطلقات ، ص37.

*عصر الضعف : حسب المنهاج يحدد بالأدب المحدود في الفترة ما بين (656 هـ. 1213 هـ) .

[30] * كلمة الحديث حسب المنهج هي كلمة بمعنى الجديد ،كلمة مرنة فما يكون حديثا اليوم يصبح قديما في المستقبل ... والأدب الحديث في اصطلاح مؤرخي الأدب العربي يبدأ من حيث الزمن بسنة (1213هـ) وهو التاريخ الذي يصادف الحملة الفرنسية على مصر ، المنهاج ص.18

* الأدب المعاصر المراد به حسب المنهاج ، الأدب القائم خلال الخمسين عاما الأخيرة بالنسبة إلى التاريخ الحالي والجدير بالذكر ... أن مفهوم الأدب المعاصر وهو الحقبة الزمنية المقدرة بخمسين عاما . فإنه حامل للتعبير أو بمعنى آخر فإنه بعد مضي خمسين عاما في المستقبل يدخل أدبنا المعاصر في عداد الحديث وتصبح الفترة التي تليه هي الأدب المعاصر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[32] دراجي سعيدي وآخرون ، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبين :أداب وفلسفة ، ص103

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com